

المرحلة الجديدة مرحلة تأسيسية

أيها الرفاق^(١)

كنت منذ زيارتي الأولى للعراق في هذا العام وبعد ثورة السابع عشر من تموز أود أن اجتمع بكم وقد سألت في ذلك الوقت وقيل لي أن الطلبة منهمكون في الامتحانات وهكذا تأجل هذا اللقاء حتى الآن .

انني أعلق اهتماماً كبيراً وأملاً كبيراً على الحركة الطلابية وأعرف بأنها كانت منذ نشأة حزبنا عنصراً أساسياً في شق طريق الثورة وكيف لا يكون ذلك والطلاب يجمعون ميزتين ثوريتين أساسيتين هما سنّ الشباب والثقافة . فالثورة هي بطبيعتها ذات روح شابة، روح الثورة، روح التمرد، نضارة النفس والأمل الحار الذي يحرك الانسان إلى طلب الكمال، كل ذلك يتمثل في سن الشباب . والثقافة هي أكبر سلاح بيد الثورة لأنها تنقل الثورة وتنقل الآمال والأهداف الثورية من حيز العواطف والتمنيات المبهمة إلى درجة الوعي الواضح والوعي المنظم والمخطط، وقد بدأ حزبكم بالدرجة الأولى في السنوات الأولى مرتكزاً على الحركة الطلابية قبل أن يصل إلى الطبقة الشعبية الكادحة التي هي بلا شك العنصر الاساسي في ثورتنا العربية والمادة الأساسية ولكن كان لا بد أن تكون الحركة الطلابية هي المقدمة وهي الممهّد الذي يوصل تيار الثورة وأفكارها وحماس الثورة إلى الجماهير الشعبية .

لئن فاتني الاطلاع الدقيق على مراحل نضالكم في هذا القطر فإنني رغم ذلك أعرف ومنذ زمن بعيد ما هو دور الطلاب بصورة عامة والطلاب البعثيين بصورة خاصة

(١) حديث خلال زيارة الاتحاد الوطني لطلبة العراق بتاريخ ٢٣ / ١٠ / ١٩٦٩ .

في قطرنا المجاهد القطر العراقي ولقد كان للطلبة البعثيين تجربة جدية آخذة في
الاغتناء والتعمق وهذا ما لمست آثاره الآن في استماعي إلى أقوالكم وملاحظاتكم .
أيها الرفاق

لقد حاول حزبنا أن يقترب دوماً بجهد وصدق من الصيغة الصحيحة الملائمة
لحاجات أمتنا العربية وللمتطلبات ثورتها . لمتطلبات المرحلة الثورية التي تجتازها
والتي تتجدد وتتطور باستمرار، فالحزب كان لا بد أن ينشأ من هذا الواقع الذي نعيشه
الذي تعيشه أمتنا وهو واقع مريض ومتخلف ومجزأ، كان لا بد أن ينشأ ضمن أقطار،
ما دامت الوحدة هدفاً يجب أن يناضل الشعب نضالاً عسيراً وطويلاً حتى تتحقق،
فالصيغة الواقعية الصيغة الحية التي نشدها الحزب دوماً وسعى إلى الاقتراب منها هي
أن يحقق فكرته ضمن الواقع، أن لا يستغرق في الواقع وأن لا يضيع في الخيال
والوهم . الواقع هو واقع التجزئة القطرية، والوحدة هي أمنية وهدف بعيد وكل تركيز
على أحد هذين الطرفين وتجاهل للآخر يعد عن الصيغة الثورية الصحيحة .

لا نستطيع أن نعمل للوحدة العربية في الفراغ، في الهواء، دون أرض ودون أن
نركز أقدامنا على أرض الواقع ومشاكله كما أننا لن نتقدم نحو الوحدة العربية، اذا
استأثر الواقع المجزأ، الواقع القطري بكل اهتمامنا وبكل خيالنا وضاعت الصورة
الشاملة والصورة الكلية أمام الأعمال اليومية والتفاصيل الجزئية وهذا ما تعيشونه
بنضالكم وتدركونه بحسكم وتجربتكم وأنتم بالذات تتقدمون تقدماً محسوساً في
معالجة شؤون القطر دون أن يفوتكم الجانب الأخرى أن ما تواجهونه من مشاكل وما
تتوصلون إليه من حلول ليس هو محدوداً بحدود هذا القطر وإنما هو من جهة تعبير عن
مشاكل وحاجات شعب واحد هو الشعب العربي في جميع أجزاء الوطن العربي ومن
جهة أخرى إنما هو خطوة توصل إلى التحرر من واقع التجزئة والاقتراب من تحقيق
الهدف الأسمى في الوحدة العربية .

إن أهم ما واجهكم كما سمعت من أقوالكم هو هذا النقص الواضح في الكوادر
الفنية النقابية والحزبية على السواء لانكم مع بقية قطاعات الحزب وجماهيره قطعتم
مراحل جدية من النضال ومن ترسيخ أقدام الحزب ومن الامتزاج بحياة الشعب ومن
كسب ثقة الجماهير حتى أصبح حزب البعث في العراق بصورة خاصة مرادفاً لحياة

وتاريخ وقضية شعب العراق الشعب المناضل صاحب القضية صاحب المصلحة في الثورة.

لقد حقق الحزب في هذا القطر شيئاً أساسياً هو مدعاة للأمل والتفاؤل والثقة بالمستقبل، انه أصبح جزءاً لا يتجزأ من أرض هذا البلد ومن حياة هذا الشعب نتيجة للنضال الصادق، نتيجة للألام الكثيرة التي عانيتموها جنباً إلى جنب مع جماهير الشعب، نتيجة للتضحيات العديدة والثبات والصمود في أحلك الظروف، نتيجة للممارسة النضالية والصدق والجد والرجولة في تحمل اعباء ومسؤوليات النضال والانفتاح على الشعب حتى لم يعد ثمة حاجز أو فارق بين الحزب وبين الشعب. هذا أساس يستطيع الحزب أن يعتمد عليه لمتابعة مراحل نضاله وتحقيق أهدافه إذ بدون هذا الأساس يبقى كل عمل سطحياً ويبقى مصطنعاً ومعرضاً للزوال وتحت رحمة أي نكسة أو صدمة. ولكن الامتزاج العميق الذي تحقق بينكم وبين جماهير الشعب وبين تاريخ وقضية هذا البلد الذي هو جزء أساسي في وطننا الواسع، هذا الامتزاج يساعد على مواجهة المستقبل بتفاؤل وإيمان مهما تكن الظروف ومهما تكن الصعوبات ومهما يطرأ من أخطار إذ لم يعد مهماً أن تكون السلطة هي حامية الحزب عندما يصبح الحزب مرادفاً للشعب، عندها في كل الأحوال وفي كل الظروف لن يجد الشعب أمامه إلا الحزب وإلا مناظلي الحزب لأن الشعب والحزب أصبحا شيئاً واحداً. فهذه المشكلة التي هي من أهم مشاكل الثورة العربية وأهم مشاكل الأمة العربية في هذا العصر أي نقص الكفاءات والكوادر والتي هي نتيجة واضحة وبارزة للتخلف الذي نحن فيه منذ قرون والذي ساهم الاستعمار الأجنبي أكبر مساهمة في فرضه وتعميمه على بلادنا وامتنا هو إذن مشكلة قومية لا ينحصر باتحاد الطلبة أو اتحاد العمال ولا في أي فرع من فروع النشاط الحزبي أو في قطر معين وإنما هو مشكلة عامة، يكاد يكون الجواب عليها وإيجاد الحل الملائم لها هو الحل لكل قضاياها ومشاكلنا القومية. وامتنا مطالبة في هذا الصراع الرهيب المفروض عليها من قوى الاستعمار والصهيونية بان تجد الجواب لنقص الكفاءة، لنقص القدرة، وهو المطلوب الأساسي في المرحلة الجديدة مرحلة ما بعد النكسة لان ما حدث في العشرين سنة الاخيرة يجب أن يكون واضحاً في أذهان الطليعة الثورية. لا شك أن خطوات عديدة

وكبيرة في طريق التقدم قد حققها النضال العربي ولكن الذي حدث أيضاً وهذا ما يجدر بكل واحد منا أن يتذكره ويتأمل فيه ليقوم بمسؤولية هذا الإدراك وهذا الوعي .

إن ما حدث هو ان الدول الاستعمارية بصورة خاصة والدول المصنعة بصورة عامة تتقدم بخطوات أسرع بكثير من تقدم البلاد المتخلفة رغم ما تحققة تلك البلاد بلاد العالم الثالث من تقدم نتيجة الثورات ونتيجة انتشار الوعي الثوري والنضالي ، هذا راجع من جهة إلى طبيعة الحضارة الفنية الحديثة القائمة على الآلة والاختراع والعلم ومن جهة أخرى إلى نواقص في بنية البلاد المتخلفة ، ولكي لا نسترسل في العموميات والمجردات نرجع إلى واقعنا القومي ، إلى واقع أمتنا ووطننا فنجد أن العقبة الكبرى التي جعلت مجهود البلاد العربية رغم الثورات التي حدثت في العشرين سنة الاخيرة ورغم قيام أنظمة تقدمية في كثير من الاقطار العربية ورغم تبديلات جديفة في العلاقات الاجتماعية وعلاقات الانتاج وفي وسائل الانتاج أيضاً ، رغم ذلك كله بقي المجهود العربي عاجزاً عن أن يتكافأ مع العدو الخارجي وعن الصمود أمام هذا العدوان ووصل إلى الهزيمة القومية التي منيت بها الدول العربية .

العقبة الاساسية أيها الرفاق هي واقع التجزئة ، فالثورات التي حدثت والتقدم لم يستطع أن يتجاوز التجزئة وأن يقتلع جذورها ويتغلب على أسبابها وعواملها وبالتالي وصلنا إلى حد أصبح فيه وجود الأمة مهدداً بالفناء لان نسبة التقدم بيننا وبين أعدائنا الطامعين بنا نسبة غير متكافئة وأن الزمن لا يكون في صالحنا إذا نحن لم نجد المعادلة الصحيحة التي تصحح اسلوب العمل الثوري الذي مورس خلال العشرين سنة الاخيرة . هذه النظرة أنتم أعرف من غيركم بأنها كانت دوماً نظرة الحزب وكانت دوماً موضع تركيز خاص وإلحاح خاص لأنها لمست المرض الاساسي وأخطر موطن للضعف والمرض في حياتنا القومية . ولكن ظروفاً كثيرة كانت باستمرار تشوش هذه النظرة تحول دون بروزها بكل صفاتها وبداهتها فالاستعمار من جهة وكل أعداء أمتنا الذين يرون انطلاق الأمة العربية بعين خائفة كانوا يركزون دوماً ويحاولون أن يطمسوا هذه الحقيقة . أن يطمسوا أهمية الوحدة في الثورة العربية . ففي الوحدة الجواب على نقص الكفاءات الفنية وشتى أنواع الضعف في الوحدة الجواب على هذا الادمان في التخلف ، على هذا التراوح في نفس المكان دون أن نسجل تقدماً حقيقياً . وترون

الظروف العصيبة التي نعيشها الآن والتي تتفاقم يوماً بعد يوم نتيجة التخطيط الاستعماري الصهيوني الذي يرمي إلى استغلال فرصة يعتبرها ذهبية، أن يفرض على العرب التراجع والتقهقر عشرات السنين إلى الوراء قبل أن يتمكنوا من استعادة أنفاسهم، من استرداد مقاليد أمورهم ومن القبض على مقدراتهم بأيديهم والمخطط الاستعماري يرمي إلى أخذ العرب في هذه اللحظة من الضعف ومن الحيرة والارتباك وأن يفرض حلولاً وأوضاعاً تزيدهم ضعفاً. تزيدهم استسلاماً وتنازلاً عن شخصيتهم وعن طموحهم في أن يكونوا أمة حرة راقية مبدعة بين أمم العالم. لذلك لا أجد أنسب من هذه الظروف لكي أذكر مناضلي هذا الحزب بأن يربطوا دوماً بين نضالهم اليومي في الواقع المجزء الذي نعيشه كلنا كشعب عربي وبين الهدف الذي يحررنا من هذا الواقع ويتشلنا منه ويمدنا بالقوة التي بها تغلب عليه.

أيها الرفاق

لنأخذ الأمور بشكلها البسيط المباشر دون تعقيد. انتم في هذا القطر تناضلون في حزب البعث العربي الاشتراكي. هذا الحزب القومي الذي له في عديد من الاقطار العربية تنظيم ونضال ولكن نضالكم في هذا القطر يتميز بأنه مدعوم بسلطة وصل إليها الحزب بنضاله وتضحياته وبصموده وبتحمله لصنوف الآلام ومشاركته للشعب مشاركة صادقة، فالحزب في هذا القطر يتحمل إذن مسؤولية من نوع خاص وفي مثل هذه الظروف التاريخية الحزب مطالب بأن تكون له نظرة واضحة إلى الماضي ودروس الماضي وإلى الأسباب التي أدت إلى النكسات الماضية لكي نتأكد أننا نمثل المستقبل ولسنا جزءاً من هذا الماضي الذي حكمت عليه الأحداث بالفشل، يجب أن تكون نظرتنا واضحة في هذا المضمار ولا نكتفي بأن نصحح ما وقعنا فيه من أخطاء قبل سنوات عندما وصل الحزب إلى الحكم في هذا القطر أو في غيره، إذ المطلوب مع تصحيح تلك الأخطاء أن نعرف بأن العالم، بأن الزمن قد تقدم وأن أعداءنا بصورة خاصة قد تقدموا في أعدادهم وتجهيزاتهم وفي اقتصادهم وفي معرفتهم لنا ودراستهم لثورتنا ومواطن ضعفها وقوتها حتى يجدوا ما يفسدون به هذه الثورة ويدمرونها يجب أن نكون متكافئين مع الزمن الذي نحن فيه لا أن نكتفي بتصحيح ما بدر منا قبل ست سنوات ونتعامى عن متطلبات هذا الزمن. يجب أن ننظر

إلى أنفسنا نظرة وإلى العالم نظرة أخرى في وقت واحد وهذا ما يضمن لنا أن نبقي قلوبنا على ثورتنا معمقين لها مصححين لنواقصها مستزيدين من التقدم بدلاً من أن نقتنع ونرتاح راحة كاذبة، راحة خداعة، هذا العهد الذي يتحمل الحزب مسؤوليته يجب أن ننظر إليه على ضوء الأحداث المصيرية التي تنتظرنا في المستقبل، التي تنتظر الأمة العربية كلها فالمعركة التي تنتظرنا لا يجدي فيها إلا أن نجد طاقات أمتنا بمجموعها لأن أعداءنا كثر وأقوياء ومجهزون بالعلم الحديث، فنظرنا إلى الحكم وإلى النضال وإلى الانتاج يجب أن تستوحى من متطلبات المعركة المحتومة أي أن لانضع حاجزاً أو سداً في وجه مساهمة جميع فئات الشعب المخلصة التي تؤمن بحق وطننا في الحرية وبحق شعبنا في الحياة الحرة الكريمة والتي تكون مستعدة للنضال ضد الاستعمار والصهيونية وضد الأخطار الخارجية، فالانفتاح على الفئات التي لا ترى رأينا في كل شيء وإنما تلتقي معنا في الأمور الأساسية وخاصة في الحفاظ على حريتنا واستقلالنا في وجه الأعداء الحقيقيين ضرورة قومية ملحة في المرحلة الراهنة، فالانفتاح وروح التعاون والعمل المشترك في نضال طويل مرير تنهياً له أمتنا في كل جزء من أجزاء وطنها. كل هذا يهيب بنا أن نتحرر من الضيق ومن التعصب ومن المبالغة في رؤية الفروق والخلافات التي تباعد بيننا وبين الفئات الأخرى كما يهيب بنا بأن نوسع نظرنا على وطننا العربي كله وعلى أمتنا وأجيالها المقبلة فلا نعطي للانجازات الداخلية قيمة وأهمية إلا بمقدار ما تصب في الهدف العام الذي يخدم المعركة المصيرية إذ إن الوحدة العربية وحده أمتنا تتحقق الآن في الخطر فأى قطر عربي حدوده هي حدود الأمة العربية حدوده هي الوطن العربي كله حدوده حدود الوجود العربي فليس ما يضمن سلامة أي قطر عربي مثل مساهمته في القضية القومية الكبرى.

أيها الرفاق

لم أستطع أن أحصر تفكيري وكلامي في حدود العمل الطلابي الذي تمارسونه بجد واخلاص وتتحررون الاسباب التي تكفل له التقدم بل استجبت لما توحى به ظروفنا القومية الكبرى وأنا متأكد من اني أتجاوب في هذا مع ضمائركم وأنا متأكد بأن كل فرد من أفراد شعبنا في هذا القطر، كل فرد من أفراد الجماهير الثورية، الجماهير

الكادحة وأنتم جزء منها إنما يفكر اليوم في مصير المعركة في فلسطين ، في مصير
معركتنا في وجه الهجمة الاستعمارية أكثر مما يفكر في خبزه القومي وفي ما يضمن له
أسباب العيش والراحة لان الحس الصادق في الجماهير الثورية يهديها إلى اكتشاف
الحقائق الساطعة البديهية وهي أن ضمان الوجود القومي يأتي قبل ضمان الوجود
الفردى ، وان حريتنا كأمة وكشعب يأتي الدفاع عنها قبل السعي وراء ما يكفل للأفراد
حريتهم ومعيشتهم .

قلت لكم أيها الرفاق بأن حزبكم بدأ نضاله معتمداً على الشباب ، على الطلاب
وهم الذين أوصلوا فكرته ونضاله إلى وسط الجماهير الكادحة حتى أصبح هذا
الحزب حقيقة واقعة في الوطن العربي كله ، واليوم ليس دور الطلاب بأقل مما كان
عند بداية الحزب لان المرحلة الجديدة هي بمثابة ثورة جديدة بمثابة تأسيس جديد
للحزب بمثابة تجديد كلي وعميق لمفاهيم الحزب لفكرته ولنضاله ولآفاق هذا
النضال لأن ما يطلب من مناضلي هذا الحزب ومن جميع المناضلين العرب في
المرحلة المقبلة هو صيغة جديدة يجب أن تختلف عن الصيغة القديمة يجب أن
تكون أكثر عمقاً وأبعد نظراً حتى نستخرج من قدرة وكفاءة أمتنا وطاقتها وامكانياتها
الدينية قدراً أكبر بكثير من القدر الذي حققه النضال العربي في السنين العشرين
الأخيرة والطلاب بحكم سنهم الشابة المؤهلة لرؤية الجديد ولاكتشاف الجديد
ولروح المغامرة والبطولة وبحكم ثقافتهم التي يجب أن تتطور دوماً نحو الثقافة الثورية
لا أن تبقى في حدود المفاهيم التقليدية سيبقى لهم دور الطليعة في المعركة الجديدة
لأنها معركة المصير . ومصيرنا في هذا العصر يتعين ويتقرر بالفكر والنضال معاً ، إذ أن
الميزة التي سمحت لهذا الحزب بأن يقوم بدور أساسي في حياة شعبنا كانت لانه
جمع الفكر إلى النضال ، ويجب أن تبقى هذه الميزة وأن تحافظوا عليها أنتم لانكم
تمثلونها وتجذبونها في ثقافتكم المتجددة وبروحكم الشابة المتمردة دوماً والسلام
عليكم .

٢٣ تشرين الاول ١٩٦٩